Al Jawahri and Sources of his Poetic Culture

Asst. lect. Saeed Ibrahim Saehood
College of Education on Sport/ University of Basra
Lecturer Ahmed Abdullah Noah
College of Arts/ University of Basra

Abstract

Al Jawahri is a talented poet and his talent and poetical skills fixed his name as one of the most important poets in the current era. In the previous literary eras, the interest was in remembering poetry, spreading it between tribes, and boasting it. On the other hand the poets of recent periods keen on diverting the topics of their poetical products to cover different arts and scientific aspects, like Islamic science, Arts, Linguistic, Philosophy, History and others. Al Jawahiri Culture was of multiple resources from the poetry of different eras, Holy Quran, Proverbs, and linguistics. He called for revolution on the Arabic prosody to start or encouraging the idea of free poetry, which flourished then under the lead of Al Sayyab and Al Bayati and Najik.

It is worth to mention that Al Jawahiri was not a poet only, but he was a scientists and philosopher. He studied linguistics which prevents him from committing any grammatical mistakes, although he disagreed with grammarian in many points like parsing and others.

الجواهريّ وموارد ثقافته الشّعريّة

م.م.سعيد ابراهيم صيهود
جامعة البصرة/كليّة التّربية الرّياضية

م..أحمد عبداللّه نوح
جامعة البصرة / اللغة العربية

الملخص:

يروم هذا البحث الكشف عن موارد ثقافة الجواهريّ الشّعريّة ، فالجواهريّ شاعر يمتلك موهبة ومقدرة عالية جعلته في الذّروة من شعراء العصر الحديث ، ولمّا كان ديدن الشّعراء في العصور الأدبيّة القديمة حفظ الشّعر والمباهاة به ونشره بين القبائل والتّفاخر به وروايته ، فقد حرص الشّعراء المحدثون على تنويع نتاجهم الأدبيّ وأصبح الشّعر يحمل فنونا وعلوما مختلفة كالعلوم الاسلاميّة والأدب واللّغة والنّحو وعلم الكلام والفلسفة والتّاريخ وغيرها . وثقافة الجواهريّ متعدّدة الموارد متشعبة الجوانب بين شّعر العصور المختلفة والقرآن الكريم والأمثال واللّغة والنّحو . فضلا عن أنّه حاول الثّورة على رتابة الشّعر العربيّ، ودعا الى تغيير العروض العربيّ ممّا يمكن عدّه محاولة ونواة لكتابة الشّعر الحرّ الذي أصبح نظاما قائما بذاته عند السّيّاب ونازك والبيّاتيّ.

وممّا تجدر الاشارة اليه أنّ الجواهريّ لم يكن شاعرا فحسب ، بل كان عالما وفيلسوفا ، درس علوم اللّغة وأتقنها ممّا جعل لغته الشّعريّة سليمة من الأخطاء ، على الرّغم من أنّه حاول الثّورة على قواعد النّحويّين ، واعترض على ظاهرة الإعراب إلا أنّه لم يخالف قواعدهم التي وضعوها فجاء شعره مطابقا لها ممّا له نظائر في كتب النّحويّين واللّغويّين وممّا عدّوه جائزا أو قليلا أو نادرا أو شاذا.

ولا بدّ من القول هنا أنّنا لاندّعي في بحثنا هذا السّبق ، فقد كتب عن الجواهريّ الكثير من الكتّاب والأدباء ، من ذلك ما كتبه الدّكتور عليّ ناصر غالب(لغة الشّعر عند الجواهريّ) تناول فيه بناء القصيدة ودعائمها من تقسيم وتكرار ووزن وقافية وكذلك أساليب الأمر والنّداء والاستفهام ، كما تناول التّركيب اللّغويّ من أنماط الجملة ووظيفتها والتّقديم والتّأخير والمجاز،

كما أشار إلى استعمال المفردة وأثر القرآن والأمثال . ومن ذلك ما كتبه الدّكتور عدنان العوّاديّ(لغة الشّعر الحديث في العراق) ضمن مجموعة من الشّعراء . ودراستنا هنا تصبّ في هذا الاتّجاه علّها تكون إضافة لما كتب.

ولمّا كان ديدننا البحث عن موارد ثقافة الجواهريّ فقد اعتمدنا ديوانه في المجموعة الشّعريّة الكاملة وأشرنا الى ذلك في متن الدّراسة رغبة منّا في عدم إثقال الهامش وقد اجتهدنا في تخريج الشّواهد الشّعريّة والأمثال وغيرها ، واللّه نسأل أن يوفّقنا إلى ما يحبّ ويرضى انّه نعم المولى ونعم النّصير وهو من وراء القصد.

المقدمة:

يعد الجواهري واحدا من الشعراء البارزين في العصر الحديث ، فقد دعا في كتاباته إلى مغادرة القافية وحاول النظم على غرار الشعر الحر الذي أصبح كيانا قائما بذاته له قواعده وشروطه عند السياب ونازك والبياتي ، كما كتب في أنواع الشعر المختلفة كالتخميس والتشطير والنقائض أو المعارضات وغيرها ، وذلك ما جعل موارد لغته الشعرية متعددة الاتجاهات ، بين القرآن الكريم ودواوين شعر العصور المختلفة ، والأمثال ، ولعل ذلك يرجع إلى البيئة التي عاش فيها الشّاعر وهي بيئة النجف ذات الطّابع الدّينيّ حيث يرتادها العلماء والكتّاب والأدباء ممّا أضاف إلى ثقافة الشاعر الشّيء الكثير وجعله كثير الاعتداد بشاعريّته وفخره بشعره وخوضه في فنون الشعر المختلفة شأنه في ذلك شأن فطاحل الشّعراء وفحولهم، فمما كان شائعا في العصور القديمة ان لكل شاعر شيطانا من الجن يوحي اليه الشعر،قد يكون ذكرا ،وقد يكون أنثى، وعلى ذلك قول حسّان بن ثابت [1]:

ولي صاحب من بني الشّيصبان فطورا أقول وطورا هوه

أمّا شيطان الجواهري فمطيع له ، عاص لارباب الشعر، ما ان يناديه حتى يحسن الاجابة(٩٣٠) :

ناديت شيطاني فأحسن جابة وهو المعاصي سّيد الأرباب

فاذا خذله شيطانه استعان بربّة الشعر على قول الشعر، وهو ديدن شعراء عصر ما قبل الاسلام ((فالشّاعر يستمدّ المعونة من ربّة الشّعر لتثبت فيه روح النّظم والانشاد بل زاد على ذلك بأن جعلها هي المنشدة،كواقع الحال عند الشّعراء الجاهليّين))[٢].يقول الجواهريّ (٣٣٣):

أتيت ربّة أشعاري أناشدها عونا على الشعر أوصفحا عن الجاني

ورمت منها على وعد بمغفرة ان لم يسّدد خطاي اليوم شيطاني

وجئت محفلكم أمشي على ثقة من ربّة الشعر عندي صكّ غفران

وقد يعينه على قول الشعر ملك وليس شيطانا (٣٧٣):

وأريتها حمّانة قرأت بها ملكا يمدّ الشعر لا شيطانا

والجواهريّ يسعى لأن تكون لغته الشّعريّة على سمت الشّعراء الكبار شأنه في ذلك شأن النّابغة والأعشى وغيرهم ، فالشعر عنده لا ياتي الّا من خلال المعاناة والهمّ حتى يصل في أحيان كثيرة الى أن يسيل الشاعر في سبيله دمه وفكره وروحه(٨١٧):

ياناديمي وربّ ديوان شعر سلت فيه دما وفكرا وروحا

فهو يسهر على شعره كما تسهر الأم على رضيعها ، مشبها حاله تلك بليل النابغة (٧٧٩):

سهرت ليل اخي ذبيان أحضنه حضن الرواضع بين العتّ واللين

فقوافيه ترضع من دمه لتغذي الحانقين والحاقدين(٦١٥) :

ممن غذتهم قوافيّ التي رضعت دمي فعندهم من فيضه كوب

وهي كشواظ من نار تلتهم وتأكل كلّ ما أتت عليه (٨٦٣):

لوشئت صغت شواظ النّار قافية تأتي على كلّ ما تلقى وتلتهم

بل انّه عندما يغضب يرتجل الشعر ارتجالا ، بقواف محرقة تقذف الجمر، شأنه في ذلك شأن زياد عندما ألقى خطبته البتراء ، أو المتنبيّ حين يتذمّر(٢٦٩):

وكنت متى أغضب على الدّهر أرتجل محرّقة الأبيات قاذفة جمرا
كشأن زياد حين أحرج صدره وضويق حتى قال خطبته البترا
أو المتنبيّ حين قال تذمّرا أفيقا خمار الهمّ بغّضني الخمرا

ويلحظ أنه وظّف لغة المجاز للتعبير عن أفكاره وما يجول في خاطره ، فهل للزمان فم؟! ولكنه كناية عن بقاء قصائده عبر الأزمان والعصور تجوب المشارق والمغارب(٥٦٦) :

كذبوا فملء فم الزمان قصائدي أبدا تجوب مشارقا ومغاربا

ويستمر الجواهري في الاستعمال المجازي ، فقوافيه تشرب من دمه وتأكل من فؤاده ، وهي تخلو مما يصيب القوافي من الزحافات والعلل ، يتناقلها الرواة في كلّ واد وفج(٨٢):

أيدري من يردّدها حسانا خلاء من زحاف أو سناد
تناقلها الرّواة بكلّ فجّ وتهديها الحواضر للبوادي
بأنّ الشعر تشرب من عيوني قوافيه وتأكل من فؤادي

والقوافي عنده ليست على مستوى واحد ، فمنها ما يكون صعب المنال كالجمر ، ومنها ما يكون سهلا كالشهد المذاب ، والشاعر المبدع هو الذي يذلّل الصعاب ويجعل القافية طيّعة(١٨٠):

أمّا القوافي فجمر طورا وشهد مذاب
ترضى وتغضب لكن أرقّهنّ الغضاب
لايحسن الشعر حتّى تراض منه الصّعاب

بل قد يكلّف الشاعر عمره في صياغة قافية ، ولكن ذلك يهون في سبيل ضمان الحياة الهانئة والعيش الرغيد للأجيال القادمة (٦٩٧):

ويحطم العمر منّا قول قافية فيها حياة لأجيال وأعمار

ومن المجاز ايضا أنّ الجواهري يجعل من زناده وفؤاده رويّا لقوافيه(٥٣١):

قدحت لها رويّا من زنادي وصغت لها رويّا من فؤادي

وهذه أمثلة من شعره سقناها لندلّل على ثقافة الجواهريّ وسعة اطّلاعه وقراءته أشعار العرب على اختلاف العصور وافادته من معطياته ، لا سيّما التّراث ، فلا يكتفي باللّغة المعاصرة بل ينبغي أن يمتدّ الى الجذور الضّاربة في العمق على قدر سعة اطّلاعه ليأتي بناؤه متناسقا [٣]. ويمكن أن نجمل موارد ثقافة الجواهريّ بالآتي:

١-القرآن الكريم:

من موارد ثقافة الجواهريّ الشعريّة القصص القرآني، فالقرآن الكريم معين لا ينضب، يغترف منه الشعراء أنّى شاءوا، مستلهمين من معانيه وقصصه الحكمة والعبر، والجواهريّ واحد من الشعراء الذين أثّر فيهم اسلوب القرآن الكريم فبدا واضحا على مستوى اللفظة والعبارة والاسلوب ، ولا عجب فقد عاش الشّاعر في بيئة دينيّة تركت دلالات واضحة تشير إلى الأثر الذي تركه القرآن في شعره [٤]،ولعلّ ذلك يظهر جليّا من خلال قراءته الشعر في القرآن(١٤٩):

قد قرأت الشعر في القر (م) آن من عهد التّصابي

بقدور راسيات وجفان كالجوابي

وهذا التشبيه يدفعه القرآن الكريم ويأباه لرسله وأنبيائه،لقوله تعالى:((والشّعَرَاءُ يَتبعُهُم الغَاوونَ))[٥] وقوله ((وما هو بقول شاعر))[٦] والذي حدا بالشاعر الى هذا القول التوافق الحاصل بين بعض آيات القرآن الكريم وتفعيلات البحر العروضي فضلا

عن أنّ الفاصلة القرآنيّة فيها شبه كبير بالقافية–ان جاز التشبيه– ولعلّ أكثر القصص القرآنيّ حضورا في شعر الجواهريّ قصص النبي موسى(ع) فمن ذلك قصّته مع قومه عندما صنعوا عجلا من ذهب وقصّته مع الألواح(٨٦٢):

ربّ لصهيون عجل صيغ من ذهب وربّ موسى كألواح له رمم

ومن ذلك أيضا قصّته مع السّحرة والعصا التي تحوّلت الى حيّة تسعى(٤٢٧):

ويا سحر موسى انّ في كلّ بقعة لما تجتلي من أية حيّة تسعى

وكذلك قصّته مع أهله عندما آنس من جانب الطّور الأيمن نارا(٤١٣):

كنار ابن عمران التي جاء قابسا سناها حريق في سفائنه شبّا

ومن اللّطيف أنّ الجواهريّ يشبّه حاله مع المروج الخضر بحال موسى(ع) عندما ناداه ربّه في طور سيناء(١٨٨):

كانّني والمروج الخضر تتفحني بالموحيات ابن عمران على الطّور

ومنه ايضا اشارته الى قصّة النبيّ لوط مع قومه وقصّة النبيّ ثمود مع قومه والناقة التي عقروها(٤٨٣):

وتحريق لوط بذنب أتى وأخذ ثمود بسقب رغا

ومنه الاشارة الى قصّة النبيّ يونس(ع) داخل الحوت (٧٧٦):

الضّارعين لأقدار تحلّ بهم كما تلوّى ببطن الحوت ذو النّون

وكذلك الاشارة الى قصّة النبيّ يوسف(ع) ودخوله السّجن(٧٤٨):

قلت والسّجن كريه ربّ السّجن أحبّ

ومن ذلك قوله يصف الاستعمار(٦٧٥):

وهم كخرقاء تنفش عهنها صيفا وتنقض غزلها بشتاء

وهو اشارة الى المثل القرآني الذي ضربه الله تعالى للنّاس في المرأة التي تنقض غزلها مرّة بعد مرّة ((ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوّة .....)).[٧]كما تكرّر ذلك في قوله(٥٨٠):

واذا بحكم الأخرقين كما انبرت حمقاء تنقض غزلها خرقاء

أمّا تضمين آيات القرآن الكريم فمنه قوله في وصف أهل النار(٦٠):

هناك لوقد وجدوا سمّ خياط نفدوا

وهو مستفاد من قوله تعالى((ولا يدخلون الجنّة حتّى يلج الجمل في سمّ الخياط))[٨] وان كان السياق مختلفا ، فالكافر لا يدخل الجنّة مطلقا وهو محال استحالة دخول الخيط الغليظ في ثقب الابرة الدقيق ، وهم لو وجدوا في النار ثقبا بهذا القدر لنفذوا منه وهيهات لهم هذا.

ومنه ايضا قوله في وصف صديق له(١١٨):

وهوان ينتسب فمن أهل بيت أذهب اللّه عنه عارا ورجسا

وكذلك قوله في وصف الشعراء(١٠٠٧):

ترى أبدا مواسمها طرائق فصّلت قددا

وقوله في وصف من جاؤوا لزيارة جمال عبد الناصر(٩٤٧):

من كلّ حدب ينسلون ولم أكن وهواك فيهم نسلة نكراء

وكذلك قوله في وصف الحاقدين والمتحاملين(٨٣٤):

كم أطحناهم بضرب الوتين وفدينا منهم بعجل سمين

ومنه قوله في وصف النّار (٩٤):

لي فؤاد فيكم ان سعّرا بلظى الشّق يقل هل من مزيد

وقوله(٧٦٨):

تلظّى كلّما حمت بوقود استطارت تقول هل من مزيد

وقوله(١٥٨):

وطارق ملؤه نار تلظّى وحشو دروعه سمّ ذعاف

ويلحظ في البيتين الأخيرين أنّ الجواهريّ استعمل مفردة (تلظّى) كما هي في القرآن ،والأصل (تتلظّى) تمسّكا منه بلغة القرآن . ومن ذلك تشبيهه آمال الانسان وطموحاته بالسراب(٣٥٦):

فاذا بآمالي وما خادعتني كمؤمّل سفها سراب بقيع

مشيرا الى قوله تعالى في صفة الكافرين ((والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة))[٩].

ومنه في صفة الوطن(٣٢):

أين كان الوطن المحبوب اذ قلّت الزّينة مال وبنون

ويقول في الاقتداء بالآخرين(٢٢٩):

هاتوا بما نبني دليلا على أنّا على آثارهم مقتفون

ومما تقدّم يمكن القول انّ الجواهريّ تأثّر بلغة القرآن الكريم ليس على مستوى العبارة فحسب، بل على مستوى اللفظة والبنية والاسلوب فشاعت لديه مفردات مثل يسطيع وتلظّى وتساقط وفرعون ذي الأوتاد وغيرها.

٢-الأمثال العربيّة القديمة:

ومن موارد ثقافة الجواهريّ الشعريّة الأمثال العربيّة القديمة على مختلف صيغها وتراكيبها ، وهي تعدّارثا أدبيّا زاخرا بالمعاني والحكم والعبر مما أغنى لغة الشاعر، وتمثّل ادراكا من قبل الشاعر لاهمّيتها وقيمتها الأدبيّة ، كما تشير الى براعة الشاعر في صياغة هذه الأمثال باسلوب جديد يتلاءم ولغته الشعريّة التي تقوم على أساس

القافية والوزن. فيثير تضمينها تداعيات كثيرة بحكم تعبيرها عن قصّة أو مناسبة معيّنة ويعكس استعمالها ثراء في ثقافة الشّاعر ويجعل نصّه الشّعريّ أكثر ايحاء[١٠].

وقد استطاع الجواهريّ بما يمتلك من حسّ رفيع وذوق عال أن يضمن أشعاره بعض هذه الأمثال،ولعلّه مدرك انّ هذه الأمثال باقية في الأذهان لا تزول (٤٨٣):

ولمّا يزل مثل سائر على النّاس يجري بايدي سبأ

وهو من قولهم في المثل (تفرّقوا أيدي سبأ)[١١]. ومنه قوله (٦٤٩):

شدنا الحياة وكوفئنا الممات كما شاد الخورنق كي يردى سنمّار

اشارة الى المثل المعروف(جزاء سنمّار)[١٢].

ويا صحابي وللفصحى حلاوتها لا تنكروا ناقلا تمرا الى هجر

وهو اشارة الى قول العرب(كمستبضع التّمر الى هجر)[١٣]. ومنه قوله(٧٩٥):

يا نديمي وخائب كحنين

مأخوذ من قولهم(رجع بخفيّ حنين)[١٤]. وقوله(٦٢٣):

ولكن كما شغلت نفسها بنحيين اخت بني عامر

ومن أمثالهم (أشغل من ذات النحيين)[١٥]. وقوله(٣٦٦):

مثل المعيديّ السّما (م) ع به أحبّ من العيان

ومن أمثالهم (أن تسمع بالمعيديّ خيرمن أن تراه)[١٦]. وقوله (٣٤٤):

وقد كان أدرى بابنه وخصومه وأدرى بأنّ الصّيد أجمع في الفرا

وفي المثل(كلّ الصّيد في جوف الفرا)[١٧]. وقوله(٣١٢).

وهل فيه أروغ من ثعلب وأشجع من ضيغم ملبد

وجاء في المثل(أروغ من ثعالة)[١٨] ، و(أشجع من اسامة)[١٩]. وقوله يخاطب سوريّا (١٥١):

ولأنت أمنع في النّفو (م) س المستميتة من عقاب

وفي المثل(أمنع من عقاب الجو)[٢٠]. ومنه قوله(٤٧٣):

وحلبت من غفلات دهرك شطرها وقنصت من متع النّعيم الشاردا

اشارة الى المثل(حلب الدّهر أشطره)[٢١].

وقد تكرّرهذا المثل ثلاث مرّت،كما في قوله(٩٠٧):

وأنّهم حلبوا الأيّم أضرعها حتّى اذا محّضتهم درّها زهدوا

وقوله(٦٩٤):

جمدت على الجلد اليبيس ضروعها من فرط ما احتلبت لها أشطار

ومنه ايضا ما جاء في قوله(٤٨٢):

يرى أنّه حين يطري الفسيل جذيلا هجا وعذيقا رمى

وفي المثل(أنا جذيلها المحكّك وعذيقها المرجّب)[٢٢]. وقد ورد هذا المثل ايضا في قوله(٣٢١):

يحكّم في الجلى أغرّمشهّر ويجتاح في البلوى عذيق مرجّب

ومن ذلك قوله(١٠٤):

أراكم حسبتم كلّ بيضاء شحمة من النّاس أو ضاقت عليكم فذافذ

وهو من المثل (أكلّ بيضاء شحمة)[٢٣].

٣-الشّعر العربيّ القديم:

ومن موارد ثقافة الجواهريّ الشعريّة حفظه كثيرا من أشعار العرب القدماء،منذ عصر ما قبل الاسلام والاسلامي والأمويّ والعبّاسيّ والحديث، ويكفي أن نذكر أنّه ألّف كتابا سمّاه(حلبة الأدب) يفهم من عنوانه أنّه يصارع فيه كبار الشعراء ويطارحهم ، ومما جاء فيه :(فلقد خلقت ولعا منذ الصغر بجمع شوارد الأدباء وأوابد الشعراء بتتبّع آثارهم النّفيسة ، وكنت قد اخترت لي خطّة لسلوكي في عالم الأدب لم أحد عنها...تلك

أنّي ما رأيت مجر قلم لأديب كبير الاّ تطفّلت عليه وسرت على النّهج الذي قصده والغاية الّتي اطّلبها، وكنت أجهد كلّ الطّاقة وأبذل غاية المقدور لأن أكون منه بحيث يرى نفسه كأنّي أتطلّع الى خفايا أسراره الشعريّة الدّفينة)[٢٤].فممن تأثّر به من أصحاب المعلّقات امرؤ القيس الذي يسمّيه ذا القروح(١٩٣):

فنيت قواف ما قرحن وانّما خلدت بذكرى ذي القروح قروح

فقوافيه خالدات لأنّها من سنخ قوافي امريء القيس، ولأنّها خلّدت ذكراه فكانت دارة جلجل وهدّاب الدّمقس ويستشزروشمّ العرانين وآساد الشّرى مفردات حاضرة عند الجواهريّ(٥٨٨):

ولقد يهون منكّب متفرّج كحصان دارة جلجل يستشزر

وقال(٣١٥):

يؤيّده ذهن خصيب ومنطق متين كهدّاب الدّمقس وناعم

وزهير ابن أبي سلمى–عند الجواهريّ– عالم بالطبائع وهي التي أعادته بعدما أبعدته عنه القرون(٣٩٨):

نأت بي قرون عن زهير وردّني على الرّغم منّي علمه بالطّبائع

ولذلك كان من معطيات هذا الموروث أبد الأوابد وحيث ألقت رحلها أمّ قشعم (٦٢٢):

وكادت تطيح بأوتادها الى"حيث" والأبد الدّاهر

وهو يشير الى قول زهير في معلّقته[٢٥]:

نشدّ ولم يفزع بيوتا كثيرة لدى حيث ألقت رحلها أمّ قشعم

والنّابغة الذبيانيّ أو أخو ذبيان شبيه به حيث يسهر على شعره ويحتضنه كما تحضن الأمّ رضيعها بين المعاناة واللّين(٧٧٩):

سهرت ليل أخي ذبيان أحضنه حضن الرّواضع بين العتّ واللّين

ويسمّيه نبيغ بني ذبيان الّذي تحتضنه الأنداء والأسحار(٦٩٥):

واذ نبيغ بني ذبيان تحضنه من آل جفنة أنداء وأسحار

ولذلك فانّ الشعر يشكو ذلّه وهوانه عند رحيل النّابغة (٧٩٩):

وشكى الشّعر ذلّه والهوانا لحبيب وأحمد وزياد

فاذا اشتدّت عليه الأمور وخشي الحاقدين والحانقين تذكّر قصيدته في آل ميّة فغنّاها(١٠٦٩):

واذا خشيت المرجفين فغنّ لي من آل ميّة رائح فمبكّر

أمّا علقمة الفحل والشّنفرى فقد استمدّ منهما خشونة العيش وصلابة العود حتّى تعوّدت عيناه السّهر ولم تعرفا طعم النّوم(٤٧٧):

بعلقمة الفحل أزجي اليمين أنّي ألذّ بمرّ الجنى

وبالشّنفرى أنّ عينيّ لا تلذّان في النّوم طعم الكرى

وأعشى باهلة الذي يوافقه في وصف الجيش(٧٢٥):

كانّما كان يعنيه ابن باهلة ويصطفيه وان طالت به العصر

طاوي المصير على المغراء منجرد بالقوم ليلة لا ماء ولا شجر

تكفيه حلزة فلذان ألمّ بها من الشّواء ويروي شربه الغمر

وطرفة بن العبد الذي ينعى عليه الامور الثلاثة التي يرى أنّها من عيشة الفتى، ويستعيض الجواهريّ عنها بامور هي أولى منها (٨٩٨):

آه على ابن العبد اذ يتربّض اللّهو اشتفاقا

يهوى"الطّراف"و"بكهنا" بضّا،وأن يحمي المضافا

لو عاد لاختصر المسافا لدنا،وحيّا، واستضافا

لرأى له وسط الجبا (م) ل الخضر من ثلج طرافا

لاعتاض عن حلب العصي رمشى به علج ودافا

حلبا تقطّرمن شفا (م) ه الغيد يعتصر انتزافا

وعن "البهاكن" كلّ رو (م) د تسرج اللّيل الغدافا

وهو يشير الى قصيدته الدّاليّة[٢٦]:

فلولا ثلاث هنّ من عيشة الفتى وحقّك لم أحفل وان قام عوّدي

فمنهنّ سبقي العاذلات بشربة كميت متى ما تعل بالماء تزبد

وكرّي اذا نادى المضاف محلئا كسيد الغضا نبهة المتورّد

وتقصير يوم الدّجن والدّجن معجب "ببهكنة"تحت الطّراف المعمّد

وعنترة العبسيّ الّذي ألهمه حبّ الفروسيّة ولكنّه لا يملك رمحه(١٠٣٠):

أنا ليس لي عسّال عن (م) ترة ولا صمصام عمرو

وما أن تسمع قوله(١٤٣):

ولولا كثرة الواشين حولي أثرت بشعري الدّاء الدّفينا

حتّى يتبادر الى الذّهن قول الخنساء ترثي أخاها صخرا[٢٧]:

ولولا كثرة الباكين حولي على أبنائهم لقتلت نفسي

وألهمه عليّ بن الجهم صورة عيون المها عند الجسر(٤٨٥):

على الجسر ما انفكّ من جانبيه يتيح الهوى من عيون المها

وهو من قول عليّ بن الجهم [٢٨]:

عيون المها بين الرّصافة والجسر جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

ومن عمر بن معدي يكرب الزّبيديّ قوله(٨٣١):

فكلّ أخ مفارقه أخوه لعمر أبيك الّا الفرقدان

أمّا العصر الاسلاميّ فيطالعنا فيه عمر بن أبي ربيعة وحاله شبيه بحال الجواهريّ،فهو يراقب الأقمار في الغروب(٧٥٥):

وترصّد الأقمار كاب (م) ن أبي ربيعة في المغيب

حتّى حذا حذوه في راءيّته المشهورة[٢٩]:

أمن آل نعم أنت غاد فمبكر غداة غد أم رائح فمبكّر

ففي كلّ وقت عند الجواهريّ رواح من آل نعم(٥٨٩):

ولكلّ آونة لكلّ وظيفة من آل نعم رائح أو مغتدي

وعروة الورديّ يمثّل عنده رمز المروءة والاباء ، حتّى وزّع جسمه بين الأجسام وروحه بين الأرواح تفانيا من أجل الآخرين(٧٥٨):

أنا عروة الورديّ رم (م) زمروءة العرب العريب

وزّعت جسمي في الجسو (م) م ومهجتي بين القلوب

وحسّان بن ثابت حيث كؤوس بني جفنة مترعة(١٠٦١):

وترفد حسّان في عزّه كؤوس بني جفنة تترع

ولبيد الذي أغنى الشّعراء في مصير الانسان المحتوم ، فلا معنى للسّؤال كيف؟ ولماذا؟ومتّى؟ ولا حاجة الى المغالطة في الكلام(٩٠٩):

ولا تغالط فقد أغناك زخرفة من قبل ألفين فيما صاغه لبد

حتّى حذا حذوه في عينيّته المشهورة[٣٠] :

بلينا وما تبلى النّجوم الطّوالع وتبقى الدّيار بعدنا والمصانع

فقال(١٠٤):

بلينا وما تبلى النّجوم الزّواكد رسوم عفت منها العلا والمحامد

وحال الحطيئة شبيهة بحاله فبعد التّطواف يأوي الى بيت دعائمه بالية (٤٤٦):

نطوّف ما نطوّف ثمّ نأوي الى بيت أقيم على اقتراح

أمّا جرير والفرزدق فقد استمدّ منهما الجواهريّ الهجاء المقذع والسّباب،حين يدعو اليه داع(٢٦٠) :

فان كان لا بدّ الهجاء وسبّة يحطّ بها قدر الفرزدق جرول

ويلحظ أنّه يقرن اسميهما معا،فقوافيه يغذّيها جرير من روحه ويلائم الفرزدق بين شطريها (٢٢٤):

من اللاّئي غذّاها جرير بروحه ولاءم شطريها نسيج الفرزدق

ومن جرير استمدّ مقولة (الحبيب يزار):

ومنعت أن أغشى ربوعك بعدها أو أن أزورك والحبيب يزار

أمّا حاتم الطّائيّ فيمثّل عنده قمّة الكرم والعطاء، فاذا مارحل رحل معه الكرم(٥١١):

ومضى الحداة بحاتم وبرهطه وتبدّلت لمكارم أحكام

حتّى اذا وصلنا الى العصر العبّاسيّ نجد المتنبيّ أكثر الشّعراء حضورا في شعر الجواهريّ ،فقد نظّم فيه قصيدتين سمّاه في الأولى(ابن الفراتين)،تكوّنت من مائة وخمسة وستّين بيتا، يطلب منه العون والمدد، ولا عجب فهو ماليء الدّنيا وشاغل النّاس(٩١٠):

فكن لي أبا الطّيّب الجبّار لي مددا ولي بما صغت من جبّارة مدد

يا شاغل الدّهر أجيالا وأحقبة ومتعب النّاس من ذموّا ومن حمدوا

وسمّاه في الثّانية (الشّاعر الجبّار) ، فهو نجم لامع خفت بمولده ضوء النّجوم السّاطعة، وهي كناية قصد الجواهريّ من ورائها أنّ شاعريّة المتنبّي طغت على الآخرين(٣٤٧):

ولد الألمعيّ فالنّجم واجم باهت من سطوع هذا المزاحم

وهذا المعنى تكرّر عند الجواهريّ كثيرا ،فهو النّجم الذي تضيء به الأفلاك (٦٩٦):

واذ أبو الطّيّب الشّريد في حلب نجم تضاء به الأفلاك سيّار

وهو الذي يضيء الدّرب للأجيال القادمة بعد أن تاهوا(١٠٥٠):

وضوّ لنا فقد تهنا ضياعا وخبّ بنا فقد شلّت خطانا

فكان المثال الذي يحتذى في الرّفعة وسموّ الأخلاق(١٠٣٢):

وضربت لي أمثولة بأبي المحسّد والمعرّي

وأصبح رحيله ثغرة لم يستطع العراق سدّها منذ قرون(٢٩٠):

قرون مضت لم يسدّ العراق من المتنبّي مكانا شغر

كما أنّ الشّعر يشكو ذلّه وهوانه بعد رحيلهّ(٧٩٩):

وشكا الشّعر ذلّه والهوانا لحبيب وأحمد وزياد

ولكنّه على الرّغم من تلك التّضحيات أصبح مشرّدا طريدا ،حتّى ضاقت الأرض به ،واستبيح دمه وماله وعرضه(٨٦٥):

فلا عجب فقلبي ضقن ذرعا بخير النّاس أحمد والحبيب

فذيّاك استبيح دما وعرضا وذاك قضى بها نحب الغريب

وأصبح النّاس يشتمونه ويسبّونه،ولكنّ ذلك لا ينقص من قدره (٦٥١):

وقبل ألف عوى ألف فما انتقصت أبا محسّد بالشّتم الأعاريب

بل يستثيرون الأشخاص لسبّه(٧٤٩):

يا لخزي المشتلي كل (م) با لسبّ المتنبّي

وقد ضمّن الجواهريّ كثيرا من أشعار المتنبّي باسلوب جميل يوحي بقدرة الشّاعر على الخلق والابداع ، فمن ذلك أن يعمد الى البيت الشّعريّ فيجعل صدره عجزا وعجزه صدرا(٦٣٢):

الآن أقحم حتّى لات مقتحم فقد تصبّرت حتّى لات مصطبر

وهو من قول المتنبّي[٣١] :

لقد تصبّرت حتّى لات مصطبر فالآن أقحم حتّى لات مقتحم

ومن التّضمين قوله(٤٧٧):

وعيشا اذا استعرضته قلت عنده كفى بك داء أن ترى الموت شافيا

وهو من قول المتنبّي [٣٢]:

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا وحسب المنايا أن يكنّ أمانيا

ومنه قوله في النّسب (١٤٧):

أخو النّدى وأبو العليا اذا انتسبا كناية بهما عن أشرف النّسب

وهو من قول المتنبّي في سيف الدّولة[٣٣]:

يا أخت خير أخ يا بنت خير أب كناية بهما عن أشرف النّسب

وهو يحتذي به في الشّدّة يكون الفتى الذي يخوض الغمار(٤٧٧):

وبالمتنبّي أنّ البلاء اذا جدّ يعلم أنّي الفتى

يشير الى قوله[٣٤] :

لتعلم مصر ومن في العراق ومن بالعواصم أنّي الفتى

واذا ما غضب ترك الخمر لأنّه سبب غضبه(٢٦٩):

أو المتنبّي حين قال تذمّرا أفيقا خمار الهمّ بغّضني الخمر

أمّا أبو تمّام فهو القرين الآخر في شعر الجواهريّ ، ولذلك لم يرد ذكره الّا مع المتنبّي، فهما عنده خير النّاس والشّعر يشكو لهما ذلّه وهوانه كمّا مرّ، وهما يمثّلان عهدا من عهود العراق(٧٥٦):

جئت العراق فعاش في (م) ك عهود أحمد والحبيب

ومن تضمينه شعر أبي تمّام قوله(٥٩٨):

وأفاق مخدوع ليسمع هاتفا خفّ الهوى وتقضّت الأوطار

وهو من قول أبي تمّام [٣٥]:

لا أنت أنت ولا الدّيار ديار خفّ الهوى وتولّت الأوطار

والبحتريّ من أكثر الشّعراء حضورا في شعر الجواهري، فقد نظم فيه قصيدة سمّاها(ساعة مع البحتريّ)،يشير فيها الى ديوانه (عبث الوليد)،قال (٢١٤):

ووقفت حيث البحتريّ ترقرقت أنفاسه فشفعتهنّ دموعا

عبث الوليد بشرخ دهر عاتب وصبا فنال من الصّبا ما اسطيعا

وهو الذي يقرّب المعنى البعيد باللّفظ القريب(٧٥٧):

كالبحتريّ يقرّب ال (م) أبعاد باللّفظ القريب

وليل داريّا يمثّل عنده العيش الرّغيد الهانيء (٦٩٦):

والعيش في ليل داريّا يرنّ به للبحتريّ بما غنّاه مزمار

وهو أحد الشّعراء الذين آمن بهم الجواهريّ ، ويسمّيه أبا السّلاسل(١٠٩٩):

آمنت بالخلّاق من شعرائه بمبيّض صحف الورى ومسوّد

بالبحتريّ أبي السّلاسل لمّعا بالعبقريّ أبي محسّد أحمد

وحال البحتريّ شبيهة بحال الجواهريّ حين سيم الذّلّ والهوان في بلده وسلب ماله وأصبح رهين الفاقة والفقر(٨٦٥):

وسيم البحتريّ الهون فيها وغصّ بحسرة التّرب التّريب

وقد استمدّ منه الجواهريّ معنى الاباء والتّضحية ،فضحايا الظّلم لا بدّ لها من اصبع يوميء وعين تنظر(٥٨٦):

ووراء أجداث الضّحايا اصبع يومي اليك بها وعين تنظر

وهي فكرة استمدّها الجواهريّ من البحتريّ في رائيّته المشهورة ،ولكن على الرّغم من هذا التّوافق بينهما فانّ الجواهريّ يتّهمه بالكذب حين يدّعي أنّه صان نفسه من الدّنس ،لأنّ صيانة النّفس في نظر الجواهريّ خصلة لا يمكن التّخلّص منها ولو لبس الانسان أنواع الحرير(٧٩٢):

كذب البحتريّ اذ قال أمس صنت نفسي عمّا يدنّس نفسي

دنس النّفس حلّة من دمقس لن تغطّى ولو بمليون غرس

وروح بشّار بن برد معه تقرّبه من الحكمة والسّداد(١٩٥):

معي روح بشّار وحسبي بروحه تقرّبني من حكمة وسداد

ولكنّه صار حطبا لنار الحبّ (٤٢٥):

عانى لظى الحبّ بشّار وعصبته فهل سوى أنّهم كانوا له حطبا

ومن أبي نواس استمدّ خمريّاته،وسمّاه الأريحيّ(١٠٩٩):

بالأريحيّ أبي نواس وصحبه من شارب نخب الحياة معربد

فعطر خمره بين الرّياض والكثبان(٧٥٧):

من عطر خمر أبي نوا (م) سبينأ رياض الكثيب

ومنه تعلّم سخف القوانين الحاكمة في الورى التي لم تأت بجديد،فهو عنده الشّهم الظّريف على الرّغم من خمره ومجونه(١٩٥):

وطورا مع الشّهم الظّريف ابن هانيء يراوح خمّارا له ويغادي

ولكنّه مؤمن معه بعد هذا وذاك بأنّ مآل الأمور الى آثام وخسارة(٥٠٩):

واذا بما جمع الغواة خسارة واذا عصارة كلّ ذاك أثام

ولعلّ ممّا يطيب ذكره هنا أنّ للجواهريّ اسلوبا جميلا آخر في التّضمين ،فهو يأتي الى بيتين من الشّعر فيجل البيت الأوّل صدرا لبيته والثّاني عجزا له،كما قال(٧٧٤):

والسّحب يأباه الزّق ويكرهه والمنفق اليوم يفدى بالثّلاثين

فقد أخذ شطره الأول من قول أبي نواس[٣٦]:

قد أسحب الزّقّ يأباني وأكرهه حتى له في أديم الأرض اخدود

وأخذ شطره الثّاني من قوله[٣٧]:

نزلنا على أنّ المقام ثلاثة فطابت لنا حتّى أقمنا بها عشرا

وأبو العلاء المعرّي قرينه في المصائب والبلايا ، ولم يبق لهما الّا الأطلال(١٣٠):

ألا من مبلغ عنّي المعرّي أحمد ليسمعه والشّعر كالرّيح جوّال

بأنّي وايّاه قرينا مصائب وأن فرّقت بين الشّعورين أحوال

وانّي وايّاه كما قال شعره مغاني اللّوى من شخصك اليوم أطلال

لذلك فهو كئيب على نواميسه(٤٣٦):

فأبو العلاء على نوا (م) ميس مهرّأة كئيب

وكان مصيرهما واحدا في الآخرة أيضا، فهو في جهنّم عن يساره(٢١٦):

عن يساري أعمى المعرّة والشّي (م) خ الزّهاوي مقعدا عن يميني

وقد نظم فيه قصيدة تكوّنت من واحد وتسعين بيتا، وصفه بأنّه طيّب الدّنيا بحكمته وسكب من روحه على جرحها(٤٢٢):

واستوح من طيّب الدّنيا بحكمته ومن على جرحها من روحه سكبا

وهو الذي ألهمه الهجاء المقذع المرّ، فكلماته جمريحمل الحقد والضغائن(١٠٩٩):

بابن المعرّة ترتمي جمراته بأمضّ من عنت الزّمان وأحقدا

وقد خاض البلدان بحثا عن الحقيقة(٧٥٥):

وأبو العلاء على بنا (م) ت الماء تحدى بالجنوب

فصار شاعرا يضرب فيه المثل (١٠٣٢):

وضربت لي امثولة بأبي المحسّد والمعرّي

وقد ضمّن الجواهريّ كثيرا من شعر أبي العلاء ،وله طريقة جميلة في التّضمين ،فهو يعمد الى البيت الشّعريّ فيجعل صدره عجزا لبيته وعجزه عجزا لبيته الآخر،كما قال(٤٣٠):

ولمّا كنت كالفجر انبلاجا وكالعنقاء تكبر أن تصادا

مشيت بقلب ذي لبد هصور تعاند من تريد له العنادا

وهو من قول المعرّيّ[٣٨]:

أرى العنقاء تكبر أن تصادا فعاند من تطيق له عنادا

ومن التّضمين قوله(٤٢٨):

وضاق به ذرعا وحسبي شاهدا نبيّ من الغربان لا يعرف الشّرعا

وهو من مطلع قصيدة للمعرّيّ [٣٩]:

نبيّ من الغربان ليس على شرع يذكّرنا أنّ القلوب الى صدع

ومن الشّعراء الذين كان لهم حضور قليل في شعر الجواهريّ ، الحسين الخليع ومسلم بن الوليد،حتّى أبو نواس، فهم لم يبلغوا شأوه، اذا احتسى الخمر كأسا بعد كأس،هو وأصحابه في المقاهي والحانات، حتّى لم يع ما يقول(٢١١):

لا الحسين الخليع يبلغ شأوينا ولا مسلم ولا ذو النّواسة

ومن الشّعراء الذين تأثّربهم الجواهريّ دعبل بن عليّ الخزاعيّ ،فهم سواء في أنّ اللّه ابتلاه بقوم غصبوا مكانه وحاولوا منعه من قول الشّعر،ولكنّه أبى ذلك فهو كالفرقدين لا يمنعهما عن الظّهور أحد(١٨١):

ولو أنّي بليت بهاشميّ خؤولته بنو عبد المدان

لهان عليّ ما ألقى ولكن هلمّوا وانظروا بمن ابتلاني

٤-الشّعر العربيّ الحديث:

أمّا العصر الحديث فأشهر شعرائه حضورا عند الجواهريّ حافظ ابراهيم وأحمد شوقي في مصر، وقد نظم فيهما قصيدة سمّاها(شوقي وحافظ)وغالبا ما يأتي ذكرهما معا،فهما نبض القريض وروحه ولولاهما لذهب الشّعر ولم يبق من يحميه ويصونه(١٤٣):

شوقي وحافظ لا يجسّ سواكما نبض القريض وما له من واق

ويجعلهما حكمين بينه وبين خصومه(١٤٤):

شوقي وحافظ أوضحا في أيّنا نطق الخيال والشعور الرّاقي

وقد نظم قصيدة في حافظ ابراهيم عند وفاته تكوّنت من ثلاثة وخمسين بيتا،ينعاه فيها ويعدّ فقده كفقد العين مقلتها أو كفقد السّاعي الى الهيجاء يمينه(٢٨٢):

انّا فقدناه فقد العين مقلتها أو فقد ساع الى الهيجاء يمناه

كما نظم اخرى في أحمد شوقي عند وفاته أيضا، تكوّنت من سبعة وثمانين بيتا، يسمّيه فيها ربّ القوافي(٢٨٦):

طوى الموت ربّ القوافي الغرر وأصبح شوقي رهين الحفر

والقوافي عبيد له يجمعها ويفرّقها كيفما شاء(٢٨٩):

وأنّ القوافي عبدّى له يفرّق أشتاتها أو يذر

ومن العراق كان الرّصافي والزّهاويّ ، ولعلّ الرّصافي أكثر ارتباطا بالشّاعر واقترانا به، ذلك أنّهما عاشا المعاناة نفسها وكان لهما المصير نفسه، وقد شبّه رحيله بقافية محكمة شعّاعة أضيفت الى قصيدة طويلة هي هذه الصّفوف المتلاحقة من عشرائه وخلطائه في عالم الأبديّة من نوابغ العالم ممّن نزلوا ضيوفا على تلك الحفر وهو من المجاز كما هو واضح (٦٠٥):

أضفيت قافية تشع (م) ع على قصيد من عشير

وقد رثاه بقصيدة اخرى، تعدّ أنموذجا يحتذى في التّذكير بالآخرة وترك مغريات الدّنيا، وأجمل ما في القصيدة لغة المجاز، فهو يصوّر المنيّة التي تترصّده بصورة الذّئب جاءه حاملا فوق أنيابه دم أقاربه وأصحابه وذويه(٧٢٦):

ذئب ترصّدني وفوق نيوبه دم أخوتي وأقاربي وصحابي

والغريب أنّنا لم نجد للزّهاوي ذكرا في شعر الجواهريّ الّا نادرا فيما بين أيدينا من دواوين، وصفه فيها بأنّه قرينه في المصير المحتوم في جهنّم مع المعرّي(٢١٦):

عن يساري أعمى المعرّة والشّي (م) خ الزّهاوي مقعدا عن يميني

هذا ما عنّ لنا أن نقف عنده من دواوين الشّعراء الذين استقى منهم الجواهريّ لغته الشّعريّة على مختلف العصور الأدبيّة وهو دليل واضح على شاعريّة الجواهريّ وبراعته وامتلاكه مخزونا ثقافيا كبيرا.

ويمكن أن يعدّ قريبا من هذا ما عرف في العصور الأدبيّة المختلفة بالنّقائض أو المعارضات، ولسنا نريد الخوض في هذه الظّاهرة بقدر الاشارة الى وجودها في شعر الجواهريّ ، فمن ذلك قصيدته التي عارض بها قصيدة محمّد رضا الشّبيبيّ ومطلعها (٤٠):

فتنة النّاس وقينا الفتنا باطل الحمد ومكذوب الثّنا

فقال(٧٥):

جلبت لي الهمّ والهمّ عنا آه ما أروحني لولا المنى

بل تعدّى ذلك الى الأندلس، فعارض ابن زيدون في قصيدته التي مطلعها(٤١):

أضحى التّنائي بديلا من تدانينا وناب عن طول لقيانا تدانينا

في قصيدة مطلعها():

يا أمّ عوف عجيبات لياليا يدنين أهواءنا القصوى ويقصينا

وقريب من هذا أيضا ما كتبه الجواهريّ من فنون الشّعر المختلفة كالتّخميس والتّشطير والرّباعيّات، بل تعدّى هذا الى الموشّحات ،قال: (ولاتزال موشّحات الأندلسيّين وأهازيجهم قبلتي وقدوتي عندما اريد الخروج على بحور الخليل بن أحمد وأعاريضه الدّارجة المألوفة) (٤٢). فكتب موشّحته(١٠٧١):

يغزل للفجر بيض الخيوط

والصّبح اذ يسري مطالع البشر على النّواحي

وريّق القطر يحوك للزّهر ثوب ارتياح

٥-علوم اللّغة ومصطلحاتها :

ومن موارد ثقافة الجواهريّ الشّعريّة الاشارة الى مفردات تتعلّق بعلوم اللّغة المختلفة كموسيقى الشّعر وعروض الخليل وما يتخلّله من عيوب كالزّحافات والعلل،

فمن ذلك مثلا نعيه على العروض العربي بأنّه لم يتغيّر منذ أن ابتكره هذا العالم الجليل(١٩٠):

ولم يتغيّر عروض الخليل ولا العرب قد بدّلوا بالتتر

وقد أفاد الجواهريّ كثيرا من لغة المجاز، فجمال ممدوحيه شعر لا نهاية له كالبّر وهم تقطيع هذا الشّعر(١٦٥):

كأنّما الجمال شعر بحره برّ وأطنابكم تقطيعه

وقال في معنى الزّحاف(٩١٠):

زحفا كبيت في قصي (م) د عامر يشكو الزّحافا

فالمجتمع العربيّ–كما يرى– متخلّف كتخلّف بيت من قصيدة عامرة أصابه الزّحاف.

ومن ذلك(١٨٢):

أيدري من يردّدها حسانا خلاء من زحاف أوسناد

ورويّ القافية قد صاغه الشّاعر من زناده وفؤاده(٥٣١):

قدحت لها رويّا من زنادي وصغت لها رويّا من فؤادي

ومنه تشبيهه ممدوحيه بقصيد موقوف عليهم بحره وعروضه(١٤١):

أمّا الغرام بكم فانّ قصيده وقف عليكم بحره وعروضه

ومنه الاشارة الى الجناس الذي يظهر واضحا في قوله يصف شعره(١٣٤):

معروف شعري في مديح محمّد أزرت بدائعه على معروفه

ومنه وصفه الغزاة بأنّهم دخلاء لا فرق بينهم وحالهم في ذلك كحال الجناس والطّباق(٨٧٢):

زنامى يعطفون على زنيم كما عطف الجناس على الطّباق

والجناس والطّباق يفرضان روعة الاسلوب –كما يرى–(٢١٢):

وكأنّ البديع في روعة الاس (م) لوب يملي طباقه وجناسه

وقال مشبّها الأشجار المتقابلة بمصارع الشّعر(١٦٢):

صفوف من الأشجار قابلن مثلها كما مصرع في الشّعر قابل مصرعا

ومنه اشارته الى الصّدر والعجز من البيت الشّعريّ(١٠٢٨):

خذيني بين كفّيك فداك العجز والصّدر

ومن موارد ثقافة الجواهريّ الشّعريّة بعض الظّواهر اللّغويّة والنّحويّة التي وجدنا لها شواهد عند علماء اللّغة والنّحو ممّا عدّوه شاذّا أو مطّردا أو نادرا أو قليلا أو ضرورة شعريّة، وهو دليل وعي الشّاعر وثقافته اللّغويّة ومعرفته بقواعد النّحو والصّرف وغيرها، وهي مصدر من مصادر ثقافة الشّاعر، ولعلّ ممّا يشير الى ذلك امتعاضه من قواعد النّحويّين وتحامله على ظاهرة الاعراب (١٠٤):

صغار بغوا للنّحو شرّ وسيلة تضلّ بها للسّالكين المقاصد

يقولون اعرب قام زيد وخالد وما جرّالّا الشّؤم زيد وخالد

فقلت لئن قاما فذا الفعل حاضر وقد بان عمّا تسألون المقاصد

واللغة الفصيحة –عنده– لا تحتاج الى اعراب ، بل لا تحتاج نحوا وصرفا(١٠٤٠):

قالت بأفصح ما احتوت لغة بلا نحو وصرف

ولكنّه على الرّغم من ذلك لا يريد عن النّحو انصرافا(٩٠١):

ساءلت نفسي لا اري (م) د لها عن النّحو انصرافا

وقد أفاد الجواهريّ–كما هي عادته وديدنه–من لغة المجاز كثيرا ، فمن ذلك أنّ المرجفين والحاقدين منزلتهم من النّاس بمنزلة الاضمار من الاعراب (٦٩٧):

ومرجفين بأغماض وغمغمة هم من النّاس في الاعراب اضمار

فكما أنّ الضّمير لا قيمة له اذ هو اشارة الى اسم سابق فضلا عن أنّه قد يكون مستترا أو غائبا،

فكذلك هؤلاء ليس لهم قيمة قياسا الى باقي النّاس.

ومنه وصفه الغزاة بأنّهم أصنام لا محلّ لهم من الاعراب (١٠٩٣):

ومحلّ لهنّ في الاعراب

ومنه ما يراه من تجاهل الدّولة ايّاه وشكواه من ظلم هذا الزّمان حتّى شبّه حاله بواو (عمرو) التي تكتب ولا تلفظ(٨٠٤):

وتجوهلت مثل واو لعمرو

ومنه تشبيهه (ليت) في التّمنّي بزرع في صخر(٨٠٣):

يا نديمي لم يبق لي ما ارجّي غير ليت وليت زرع بصخر

والقافية تصل بين(انّ) واختها مشيرا الى باب (انّ وأخواتها) في النّحو:

أن لست أعرف سرّ قافية ما بين (انّ) واختها تصل

ومنه اشارته الى(نعم وبئس)في المدح والذّم (٧٦١):

حرفان للتّاريخ يع (م) تورانه (نعم) و(بئس)

والامم تتباين تبعا لهذين الحرفين(١١٨):

وكأنّ اللّغات بتن يفرق (م) ن كما تشتهيه (نعم) و(بئس)

ومنه قوله مشيرا الى حذف المضاف(١١١٤):

سأقول فيك بدون تع (م) مية ولا حذف المضاف

ومنه قوله في جمال عبد النّاصر أنه يعادل نصف امّة(٩٤٣):

قالوا أب برّ فكانت امّة ألفا ووحدك كنت فيها الباء

ومنه الاشارة الى ظاهرتي التّرخيم والتّنوين في اللغة وهما يعطيان اللفظ والكلام حلاوة وجمالا ويجعلان الشّعر هدهدة وتنغيما (٧٧٦):

يا دجلة الخيرانّ الشّعر هدهدة للسّمع ما بين ترخيم وتنوين

وكذلك اشارته الى ظاهرتي التّصرّف والجمود في معنى مجازيّ(١٣٤):

ويقول ان قالوا تصرّف درهم ليت الجمود عداه عن تصريفه

ولعلّ من الظّواهر اللّغويّة المهمّة في شعر الجواهريّ الاشارة الى بعض اللّغات، فمن ذلك مثلا تشبيهه ضياع الخير في الشّرّ باللّثغ وهو–كما في اللّسان [٤٣]–تحوّل اللّسان من حرف الى حرف غيره كأن يجعل السّين ثاء فيضيع فيه الحرف في الحرف الآخر. يقول الجواهريّ (٧٨٣):

ولكن رأيت سمات الخير ضائعة في الشّرّ كاللّثغ بين السّين والشّين

ومن ذلك أيضا استعماله الفعل (هراق) وهو لغة في (أراق) [٤٤]ابدال الهمزة هاء وقد ورد هذا الاستعمال عند الجواهريّ ثلاث مرّات كما في قوله(٧١٧):

وتذكّرن ما أسلفوا وتجرّموا في الرّافدين وأهرقوا وأباحوا

وقال(٣٧٢):

اسمعي هذا دم شاءت له نخوة مهتاجة أن يهرقا

وقال(٢٧٣):

ألهذا أهرقتموني وأضحى ألف عرض وألف ملك مشاعا

ومن ذلك أيضا استعماله مصدر الفعل (أجاب) وهو(جابة) بدل المصدر(اجابة) في قوله(٩٣٠):

ناديت شيطاني فأحسن جابة وهو المعاصي سيّد الأرباب

ومنه استعمال الفعل(تخذ)بمعنى(اتّخذ) ، وفي اللّسان: تخذ تخذا عن كراع [٤٥]،وقد ورد في شعره خمس مرّات كما في قوله(١٥٣):

تخذوا البنات سلاحهم وتدّرّعوا حزما وجدّا

وقريب من هذا استعمال الفعل (ادّلى) و(ادّنى) بمعنى (تدلّى) و(تدنّى) كما في قوله(٤٥٨):

ونجم تغوّر من حبّها ونجم عليها ادّنى فادّلى

وقوله(٤٢٥):

وأثقلت متع الدّنيا قوادمه فما ارتقى صعد حتّى ادّنى صببا

ومنه أيضا استعمال الفعل (تأبّى) بمعنى (أبى) أو (استعصى) الذي ورد ثلاث مرّات كما في قوله(٨٤٨):

تأبّى بغي مقتاد بغيض تأبّى أن يطاوعه انقيادا

وكذلك الفعل (اشاق) الذي ورد مرّتين كما في قوله (١٥٨):

اشاق لها اذا عنّت خيام وأذكرها اذا حنّت نياق

ومنه الفعل(تساقط) بصيغ مختلفة، منها(أسّاقط ، يسّاقط ، ساقط) كما في قوله (١٠١٢):

كبرا صمدنا لها فاسّاقطت كسرا كما تساقط حول الأيكة الورق

ومن ذلك جمعه(عبد)على (عبدّى) في قوله(٢٨٩):

وأنّ القوافي عبدّى له يفرّق أشتاتها أو يذر

وقوله(٨٧٢):

عبدّى لايريدون انعتاقا وأطماح العبيد الى انعتاق

وقريب منه أيضا جمعه العصر على عصور وأعصر وعصر وأعصار، كما في قوله(٨٩٠):

يا صورة الوطن انصبّت معالمها على معالم ما أبقت يد العصر

ومن موارد ثقافة الجواهريّ الشّعريّة بعض الاستعمالات النّحويّة التي عدّها النّحويّون خروجا على قواعدهم التي وضعوها، واستعمال الشّاعر هذا دليل معرفته بقواعد اللّغة وقراءته شواهدها الشّعريّة في متون كتب النّحو ومحاولته السّير على نهجها من دون أن يخدش ذلك في لغته الشّع فمن ذلك مثلا حذف المتعجّب منه ،وهو ما أجازه النّحويّون اذا دلّ عليه دليل [٤٦]،ومن شواهده قول امريء القيس[٤٧] :

أرى أمّ عمرو دمعها قد تحدّرا بكاء على عمر وما كان أصبرا

وعلى هذا قول الجواهريّ(٤١٦):

فيا لك بشرى ما أرقّ وما أصفى أغاثت نفوسا ما أحنّ وما أصبا

أراد: ماأرقّها وما أصفاها وما أحنّها وما أصباها. ومنه أيضا قوله(٤٦٣):

لعنت اللّفظ ما أقسى وأطغى وما أعصى على صور المعاني

ومن المسائل الاخرى العطف على الضّمير المجرور وهو ما منعه جمهور النّحويّين الّا باعادة الجار وأجازه الكوفيّون، لوروده نثرا ونظما [٤٨]،فمن النّثر قراءة قوله تعالى: ((واتّقوا الله الذي تساءلون به والأرحام))[٤٩] ومن النّظم قول الشّاعر[٥٠]:

فاليوم قرّبت تهجونا وتشتمنا فاذهب فما بك والأيّام من عجب

وعلى هذا قول الجواهريّ (٥٠٧):

يوم الشّهيد تحيّة وسلام بك والنّضال تؤرّخ الأعوام

بك والضّحايا الغرّيز هو شامخا علم الحساب وتفخر الأرقام

ومن ذلك وقوع الضّمير بعد(الّا) وهو ما منعه النّحويّون في الاختيار فلا يقال: ماأكرمت الّاك ، وما وقع منه في الشّعر فهو شاذ[٥١]،فمن شواهده قول الشّاعر[٥٢]:

وما علينا اذا ما كنت جارتنا أن لا يجاورنا الّاك ديّارُ

وعلى هذا قول الجواهريّ (٣٩٩):

انّي وجدت المكرمات متاجرا يبغي ذووها مربحا الّاكا

وكذلك قوله(٢٨١):

وقد يجيء بما لم يجر في خلد وقد يقول الذي لم تهو الّاه

وقريب من هذا وقوع الضّمير بعد(حاشا)كما في قوله(٣٩٩):

حاشاي لم أدلف اليك تزلّفا كلّا ولست تريده حاشاكا

كما ورد استعماله (حاشا) بدون اضافة في قوله(٢٥١):

حاشا فتلك خطيئة وجريمة لا تغتفر

ومن الاستعمالات الاخرى أنّ الكاف لا تجرّ الّا الظّاهر وجرّها الضّمير شاذّ عند النّحويّين، ومن شواهد هذه المسألة قول العجّاج[٥٣]:

خلّى الذّنابات شمالا كثبا وامّ أوعال كها أو أقربا

وعلى ذلك قول الجواهريّ (٤٤٥):

ولن تجدي كايّانا نصيرا يدقّ من الأسى راحا براح

ومنه استعمال (على)اسما بدخول(من)عليها، كقول الجواهريّ (٤١١):

قم تجدهم مالكي غلّتهم من على عهدك كانوا الاجراء

وقوله(٢٩٠):

ولقد هزّني مسيل غدير من على جانبيه روض عشيب

ومن ذلك نصبه اسم (ليت) وخبرها على لغة بعض الأعراب ، فيقولون: ليت زيدا شاخصا[٥٤]، فمن ذلك قوله(٨٢٧):

نحن الكبار ليتنا أطفالا ولم نزلزل بعضنا زلزالا

ومنه أيضا استعمال(علّ)وهي لغة في (لعلّ)كما في قوله(٩١٨):

هاتوا بها علّ في فدي مشاركة لا يفتدى غيّب عنه بمن شهدوا

وعلّ فيض الدّم الخلّاق مكتسحا يلفّ من رغبوا فيه بمن زهدوا

وقوله(٩١٧):

وعلّ عار حزيران ووحشته ترفضّ عنها اللّيالي الحلّك الرّبد

وقوله (٧١٨):

فقشور البيض جاهزة علّها تشفي من الهوس

انّ استعمال الجواهريّ هذا دليل معرفته بلغات العرب وما كان شائعا من شواهد شعريّة زخرت بها كتب النّحويين ممّا يظهر واضحا تمكّن الجواهريّ من لغته الشّعريّة واحاطته بفنونها المختلفة من أدب ولغة وكذلك معرفته بل ولعه بفنون الشّعر المختلفة،حتى حاول الخروج على عروض الخليل، فعبر الى الأندلس وكتب على نمط الموشّحات الأندلسيّة.

خاتمة البحث ونتائجه :

وبعد...فعلى الرّغم ممّا كتب عن الجواهريّ من دراسات وبحوث تناولت لغته الشّعريّة،الّاأنّ هناك جوانب غامضة لم تكشف وجوانب تستحقّ الدّراسة والتّأمّل، فالجواهريّ علم من أعلام الشّعر العراقيّ الحديث، وقد أبرزت دراسة لغته الشّعريّة ما يأتي:

-لقد تعدّدت موارد ثقافة الجواهريّ الشّعريّة بين دواوين العصور الأدبيّة المختلفة،فقد حفظ أكثر أشعار شعراء عصر ما قبل الاسلام والعصر الاسلامي والأمويّ والعبّاسيّ والحديث،وبدا تأثّره بهم واضحا على مستوى اللّفظة والعبارة والبيت.

-أظهرت اللّغة الشّعريّة عند الجواهريّ حرصه على الاعتداد بشاعريّته ودأبه على السّير على منوال الشّعراء السّابقين ، شأنه شأن امريء القيس والنّابغة والأعشى وغيرهم،فالقصيدة عنده تأتي بعد معاناة وتعب،ساهرا ليله في سبيل ذلك،يعينه في ذلك ربّة الشّعر أو ملك أو شيطان على غرار ما كان شائعا عند شعراء ما قبل الاسلام.

-أبرز البحث محاولة الشّاعر في توظيف القصص القرآنيّ في لغته الشّعريّة ممّا ينمّ عن امكانيّة ومقدرة عالية في التّصرّف بالمفردات اللّغويّة ،كما استلهم أمثال العرب

القديمة بصياغة جديدة تتلاءم ولغته الشّعريّة،ممّا يمكن عدّه موردا من موارد ثقافة الشّاعر.

-أظهر البحث براعة الشّاعر في الخروج على قواعد النّحويّين،ممّا عدّوه شاذّا أو نادرا أو قليلا، وممّا وجدنا له نظائر في كتبهم من نصوص قرآنيّة أو شواهد شعريّة ،كثورته على جماعة منهم واعتراضه على مسألة الاعراب التي لا تمتّ-حسب رأيه- الى اللّغة بصلة،ومن استعمالاته الخاصّة ادخاله الضّمير على (الّا) و(حاشا) ، وجرّ الضّمير بالكاف وهو ما منعه أغلب النّحويّين، ومنه اشارته الى بعض اللّغات كاللّثغ ، واستعماله (علّ)وهي لغة في (لعلّ) وكذلك نصبه المبتدأ والخبر بعد (ليت)واستعماله الفعل(تخذ)وهو لغة في (اتّخذ) ممّا يوحي بغزارة الألفاظ والمعاني،فهو دليل معرفة الشّاعر بلغات العرب وقراءته كتب النّحويّين وما جاء فيها من شواهد شعريّة.

الهوامش:

(١)ديوان حسان بن ثابت:٤٨٤

(٢)الاسطورة في الشّعر العربيّ:٩٣

(٣)لغة الشّعر عند الجواهريّ ، د.عليّ ناصر غالب :١٧١ تمّام:٢١١/١

(٤)أثر القرآن في شعر الجواهري ، د.أحمد خطاب عمر،مجلة المورد،مج٧،ع٢، ١٩٧٨ ص:٢١٨

(٥)سورة الشّعراء:٢٢٤

(٦)سورة الحاقة:٤١

(٧)سورة النّحل:٩٢

(٨)سورة الأعراف:٤٠

(٩)سورة النّور:٣٩

(١٠)لغة الشّعر عند الجواهريّ:١٧٦

(١١)المستقصى في الأمثال:١٥٥/٢

(١٢)م.ن:٥٢/٢

(١٣)م.ن:٢٣٣/٢

(١٤)م.ن:١٠٠/٢

(١٥)م.ن:١٩٦/١

(١٦)م.ن:٣٧٠/١

(٤٧)ديوان امريء القيس:٥٧

(١٨)م.ن:١٤٥/١

(٢٠)م.ن:٣٦٩/١

(٢١)م.ن:٦٤/٢

(٢٢)م.ن:٣٧٧/١

(٢٣)م.ن:٨٧/١

(٢٤)حلبة الأدب:٣٣

(٢٥) شرح ديوان زهير:٤٥

(٢٦)ديوان طرفة: ٨٦

(٢٧)ديوان الخنساء:١٧٣

(٢٨)ديوان عليّ بن الجهم:١١٣

(٢٩)ديوان عمر بن أبي ربيعة:١٢٢

(٣٠)ديوان لبيد: ١٥٤

(٣١)ديوان المتنبيّ:١١٨/٤

(٣٢)م.ن:٣٠٧/٤

(٣٤)م.ن:١١٥/١

(٣٥) ديوان أبي

(٣٦) ديوان أبي نواس:١٧٧

(٣٧)م.ن:٢٢٥

(٣٨)ديوان المعرّيّ:١٢٤

(٣٩)م.ن:١٣٩

(٤٠)ديوان محمّد رضا الشّبيبيّ: ٨٦

(٤١)ديوان ابن زيدون:٢٩٨

(٤٢)ديوان الجواهريّ:٤٥

(٤٣)اللّسان:(لثغ)

(٤٤)م.ن:(هرق)

(٤٥)م.ن:(تخذ)

(٤٦)شرح ابن عقيل:١٤٢/٢

(٤٧)ديوان امريء القيس:٥٧

(٤٨)شرح ابن عقيل:٢١٩/٢

(٤٩)سورة النّساء:١

(٥٠)من شواهد سيبويه ولم يعزه أحد لقائل كما في شرح ابن عقيل:٢٢٠/٢

(٥١)شرح ابن عقيل:٨٨/١

(٥٢)لم ينسب الى قائل كما في شرح ابن عقيل:٨٩/١

(٥٣)ديوان العجّاج:٣٩٠

(٥٤)اللّسان: (ليت)

المصادر والمراجع:

١. القرآن الكريم.

٢. أثر القرآن في شعر الجواهريّ، د.أحمد خطّاب عمر، مجلة المورد،مج٧،ع٢، ١٩٧٨م.

٣. الاسطورة في الشّعر العربيّ قبل الاسلام، د. أحمد اسماعيل النّعيميّ،بغداد،ط١-٢٠٠٥

٤. حلبة الأدب، محمّد مهديّ الجواهريّ، طبع وشرح: ضياء سعيد،ط٢،النّجف-١٩٦٥م.

٥. ديوان ابن زيدون، شرح: د.يوسف فرحات، دار الكتاب العربيّ،بيروت-لبنان،٢٠٠٨م.

٦. ديوان أبي تمّام، شرحه وضبطه وقدّم له :ايمان البقاعيّ، مؤسّسة النّور، بيروت-لبنان، ٢٠٠٠ م.

٧. ديوان أبي نواس، شرحه وضبطه وعلّق عليه د.عمر فاروق الطبّاع، دار الأرقم،بيروت-لبنان،ط١، ١٩٩٨م.

٨. ديوان امريء القيس، شرحه وضبطه وقدّم له: فريد الشّيخ، مؤسسة الأعلميّ للمطبوعات،بيروت٠-لبنان، ط١-٢٠٠١م.

٩. ديوان الجواهريّ، الأعمال الشّعريّة الكاملة، دار الحرّيّة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بغداد، ط٢، ٢٠٠١م.

١٠. ديوان الخنساء، شرح ثعلب، تحقيق د. أنور أبو سويلم، دار عمّار،الأردنّ-١٩٨٨م.

١١. ديوان الشّريف الرّضي، شرحه وعلّق عليه وضبطه وقدّم له د. محمود مصطفى حلّاويّ، شركة دار الأرقم، بيروت،ط١، ١٩٩٩م.

١٢. ديوان طرفة بن العبد، تحقيق: كرم البستانيّ، دار صادر،بيروت-١٩٥٣م

١٣. ديوان العجّاج، رواية وشرح: عبد الملك بن قريب الأصمعيّ، قدّم له وحقّقه د. سعديّ ضنّاويّ ، دار صادر،بيروت،ط١، ١٩٩٧م.

١٤. ديوان عمر بن أبي ربيعة، قدّم له ووضع هوامشه وفهارسه د. فايز محمّد، دار الكتاب العربيّ،بيروت-لبنان،٢٠٠٨م.

١٥. ديوان محمّد رضا الشبيبيّ ، مطبعة لجنة التّأليف والتّرجمة والنّشر،القاهرة-١٩٤٠م.

١٦. ديوان المعرّيّ أو لزوم ما لا يلزم ، شرح : نديم عديّ، طلاس للدراسات والترجمة والنّشر، دمشق- ط٢، ١٩٨٨م.
١٧. شرح ابن عقيل ، تحقيق: محمّد محيي الدّين عبدالحميد ،المكتبة العصريّة ، صيدا- بيروت،٢٠٠٣م.
١٨. شرح ديوان حسان بن ثابت . عبد الرّحمن البرقوقيّ ، دار الأندلس،بيروت-١٩٧٨م.
١٩. شرح ديوان زهيربن أبي سلمى، صنعة أبي العبّاس ثعلب، قدّم له ووضع هوامشه وفهارسه د. حنّا ناصر الحتي، دار الكتاب العربيّ، بيروت-لبنان،٢٠٠٧م.
٢٠. شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامريّ، حققه وقدّم له دّ. احسان عبّاس مطبعة حكومة الكويت-١٩٦٢م
٢١. شرح ديوان المتنبّيّ، وضعه : عبد الرّحمن البرقوقيّ، دار الكتب العلميّة ، بيروت-لبنان، ط٢، ٢٠٠٧م.
٢٢. لغة الشّعر الحديث في العراق بين مطلع القرن العشرين والحرب العالميّة الثانية، د. عدنان حسين العوّاديّ ، دار الحريّة ، بغداد-١٩٨٥م.
٢٣. لغة الشّعر عند الجواهريّ ، د.عليّ ناصر غالب ،دار الصّادق، العراق، بابل ،٢٠٠٥ م.
٢٤. لسان العرب ، ابن منظور ، تحقيق: ياسر سلمان أبو شادي ، مجدي فتحي السّيّد. د. ت
٢٥. المستقصى في أمثال العرب ، الزّمخشريّ ، ط١-١٩٦٢م.